دراسة تحليليّة لمصطلحات الطّرائق التّعليميّة في مقدّمة ابن خلدون

(ت 808 هـ)

Analytical study of Terminology of Teaching Methods in Ibn Khaldun's "Al-Muqaddimah"

نعيمة رجم*
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة (الجزائر)
مخبر الدّراسات اللّغويّة والقرآنيّة
n.redjem@univ-emir.dz

زين الدين بن موسى
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة (الجزائر)
Zineeddine.benmoussa@gmail

تاريخ الإرسال: 2024/03/31	تاريخ القبول: 2024/04/24

الملخص:

تهدف هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على بعض الجهود المصطلحيّة لـ "ابن خلدون"؛ بوصفه أحد أبرز المربّين المسلمين القدماء الّذين كان لهم فضل التّأليف في التّربية والتّعليم، وذلك بالنّظر إلى كيفية توظيفه ومعالجته للمصطلح التّعليميّ من خلال الوقوف على المصطلحات الخاصّة بالطّرائق التّعليميّة في كتابه "المقدّمة" وتناولها بالدّراسة والتّحليل من حيثُ بُناها ومفاهيمها، مع تبيان مدى فاعليتها اليوم ومقاربتها لما جاء من مصطلحات في الدّراسات التّربويّة الحديثة خاصّة في مجال تعليميّة اللّغة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، تعليميّة اللّغة، الطّرائق التّعليميّة، المقدّمة، ابن خلدون.

Abstract

This study seeks to scrutinize the terminological contributions of Ibn Khaldun, a preeminent ancient Muslim educator recognized for his seminal works in pedagogy and education. The focus of this analysis is on his adept utilization and examination of educational terminology, specifically pertaining to teaching methods, as elucidated in his magnum opus "Al-Muqaddimah." The research involves a meticulous examination of these terms, delving into their structural composition and conceptual underpinnings. Additionally, the study appraises the contemporary relevance of these terminologies, assessing their resonance with modern educational paradigms, with a particular emphasis on the domain of language didactics.

Keywords: Terminology, Language Didactics, Teaching Methods, Al-Muqaddimah, Ibn Khaldun.

* المؤلف المرسل: نعيمة رجم

مقدمة:

أبدع العرب المسلمون وابتكروا آراء جديدة في التّربية والتّعليم؛ استخلصوها مباشرة من فكرهم الإسلاميّ النّاتج عن فهمهم العميق لما جاء به القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، فكان من هؤلاء المربّين "ابن خلدون" في مقدّمته الّتي قعّد من خلالها للدّرس التّعليميّ الحديث وأثبتت نجاعتها فيه؛ حيث خصّص جُملةً من الفصول للحديث عن موضوع التّربية والتّعليم، له فيها عديد الآراء والملاحظات النّاجعة، كما نجد له أيضًا الكثير من الآراء التّعليميّة المبثوثة بين ثنايا "المقدّمة" ضمن فصول أخرى متنوّعة، فأبدع وجدّد وشكّل منهجًا تربويًّا فريدًا أصبح فيما بعد محطّ اهتمام الباحثين واللّغويّين العرب والمستشرقين وحظي بقسطٍ وافرٍ من التّحليل والدّراسة، إلاّ أنّ جلّ هذه الدّراسات عُنيت بالأفكار والآراء التّربويّة الواردة في "المقدّمة"، مغفلةً جانب المصطلحات الدّالّة عليها. وفي هذا الإطار يندرج هذا البحث الّذي يُقدّم دراسةً حول المصطلحات الخاصّة بالطّرائق التّعليمية في مقدّمة "ابن خلدون"، وذلك من خلال تتبّع نماذج من هذه المصطلحات ودراستها مقارنةً مع ما جاء من مصطلحات في الدّراسات التّربويّة الحديثة، ومنه تأصيل هذه المصطلحات وإبراز قيمتها في الدّرس التّربويّ الحديث.

ومن هنا كانت الإشكاليّة المطروحة: ما هي الخصائص المميّزة لمصطلحات الطّرائق التّعليميّة في مقدّمة "ابن خلدون"؟ وإلى أيّ مدى أسهمت في تشكّل المصطلح التّعليميّ الحديث؟

وقبل الإجابة عن هذين التّساؤلين الجوهريّن؛ حريٌّ بنا في البداية توضيح مفهوم المصطلح بالإضافة إلى المقصود بالطّرائق التّعليميّة، وكذا التّعريف بالمدوّنة محلّ الدّراسة.

1- مدخلٌ مفاهيميّ:

1-1 مفهوم المصطلح:

عرّف "الشّريف الجرجاني" (ت٨١٦هـ) المصطلح قائلاً: «الاصْطِلاح: عبارة عن اتّفاقٍ قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول. الاصْطِلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي، إلى آخر لمناسبة بينهما، و قيل: الاصطلاح اتِّفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، و قيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، و قيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين»[1]. كما عرّفه "مصطفى الشّهابي" بقوله: «المصطلح هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلميّة»[2].

وبالنّظر إلى هذين التّعريفين يُمكننا القول بأنّ (المصطلح) أو (الاصطلاح) هو اتّفاق طائفة مخصوصة على وضع تسمية لشيء معيّن لوجود مناسبة بين الدّال والمدلول.

1-2 مفهوم الطّريقة التّعليميّة:

يحيل مفهوم الطّريقة التّعليميّة إلى «عمليّة موجّهة يستهدف بها التّنظيم والموازنة السّليمين لمختلف العوامل الّتي تدخل في العمليّة التّعليميّة كطبيعة التّلميذ وموادّ التّعليم والموقف التّعليميّ»[3]. ومنه

فإنّ مفهوم الطّرائق التّعليميّة يتمحور أساسًا حول جملة الأساليب والمبادئ المستخدمة في العمليّة التّعليميّة.

3-1 مقدّمة ابن خلدون:

تطلق تسمية "مقدّمة ابن خلدون" ويراد بها المجلّد الأوّل من أصل سبعة مجلّدات من "كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[4]، لمؤلّفه عبد الرّحمن أبو زيد وليّ الدّين بن خلدون[5]. هذا المؤلّف الكبير في التّاريخ الّذي كان له نسختان: إحداهما تونسيّةٌ والأخرى مصريّةٌ، فأمّا النّسخة التّونسيّة فقد مثّلت كلا الكتابين كما كتبهما "ابن خلدون" في قلعة "ابن سلامة" و"تونس" من بداية سنة (٧٧٩هـ) حتى شهر شعبان سنة (٧٨٤هـ)، أمّا النّسخة المصريّة فقد مثّلت هي الأخرى بدورها كلا الكتابين ولكن بعد التّنقيح والإضافة التي أضيفت إليهما بـ"مصر" والّتي كانت من شوال سنة (٧٨٤هـ) حتى وفاته سنة (٨٠٨هـ)[6].

ونظرًا لقيمة هذا الكتاب تداوله العلماء عربًا وأجانبَ، وتناولوه بالتّحقيق والترّجمة؛ حيث حُقّق "كتاب العبر" "أحد عشر"[7] تحقيقًا بعضها تحقيقٌ كاملٌ لكلّ الكتاب وبعضها الآخر اقتصر على تحقيق أجزاء منه فقط، أمّا "المقدمة" بمفردها فقد تمّ تحقيقها "ثمانية عشر"[8] تحقيقًا بين الكامل والجزئي خلال الفترة الممتدّة بين (١٩١٠-٢٠٠٥م). أمّا فيما يخصّ التّرجمة فقد تُرجمت "المقدّمة" إلى عدّة لغات منها: التركية، والفرنسيّة، والإنجليزيّة، والعبريّة، والبرتغاليّة، واليابانيّة، والألمانيّة، والإيطاليّة، والإسبانيّة[9]، وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على القيمة العلميّة الكبيرة لكتاب "المقدّمة" الّذي يُعدّ إنجازًا فكريًّا موسوعيًّا ينمّ عن إبداع صاحبه؛ كونه يزخر بمختلف القضايا الفكريّة، والتّاريخيّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، الّتي كانت ولازالت محطّ اهتمام العلماء ينكبّون على دراستها ونقدها وتحليلها.

2- نماذج من مصطلحات الطّرائق التّعليميّة الواردة في مقدّمة ابن خلدون:

ضمّن "ابن خلدون" مقدّمته عديد المصطلحات التّعليميّة الّتي عُنيت بالعمليّة التّعليميّة وعناصرها من معلّم ومتعلّم ومادّة تعليميّة، بالإضافة إلى مصطلحات الوسائل المستخدمة فيها، والطّرائق الّتي تتمّ من خلالها. وما يُهمّنا في هذا المقام هو مصطلحات هذه الأساليب أو الطّرائق التّعليميّة؛ حيث أحصينا (تسعة) مصطلحات، وبيانها كالآتي:

2-1 التّجربة:

أشار"ابن خلدون" في مقدّمته إلى مصطلح (التّجربة) ويَقصد به التّعليم المحسوس الّذي يرتبط بالواقع المعيش للطّفل الصّغير؛ لأنّه في أوّل تعليمه يستوعب أكثر من خلال ربط عمليّة التّعليم بالواقع المحسوس. ولذلك يذهب إلى أنّ المعاني، وهي مجرّدةٌ، لا تبتعد عن العالم الحسيّ بشكل كلّيّ وإنّما تُدرك جميعها عن طريق (التجربة)، كونها معان جزئية مرتبطة بالمحسوسات[10]. فالطّفل الصّغير، في هذه المرحلة، غيرُ قادر على استيعاب الأمور المجرّدة المعقّدة وغير الملموسة بسهولة، و لذلك يجب أن يُخضع معلوماته العلميّة إلى (التّجربة)[11].

وهو المصطلح عينُه الّذي أشارت إليه الطّرائق التّعليميّة الحديثة تسميةً ومفهومًا؛ بأن أكّدت وجوب تحويل إحساسات المتعلّم إلى أفكار من خلال معالجة ومباشرة الأشياء ذاتها[12]، ولذلك عَدّت (التّجربةَ) أو ما يُصطلح عليه في اللّغة الأجنبيّة بمصطلح (Experience)[13] مرحلةً لا يُستغنَ عنها في عمليّة التّدريس خاصّةً إذا ما تعلّق الأمر بتلك الوضعيّات الّتي تستلزم من المتعلّم حلّ مشكلات أو فهم قوانين...، فيتّصل بعالمه الخارجيّ معتمدًا في ذلك على وسائطَ وأساليبَ معيّنةً[14].

وبناءً على ما سبق ذكره يمكننا القول بأنّ مصطلح (التّجربة) الوارد في مقدّمة "ابن خلدون" مصطلحٌ مستقرٌ ما يزال يكتسب شيوعًا في الفكر التّربويّ الحديث.

2-2 الحفظ:

ويعني مصطلح (الحفظ) عند "ابن خلدون" تثبيت المعلومات في الذّهن مع فهمها ووعيها حتّى تتكوّن الملكة، حيث يقول: «حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، و يتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم و خالط عباراتهم، في كلامهم، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم»[15]. وهو المصطلح ذاته الّذي نجده حاضرًا اليوم في الدّرس التّعليميّ الحديث تسميةً ومفهومًا؛ إذ يُصطلح عليه في أصله الأجنبيّ بمصطلح (Memorisation)[16] وهو ما يُكافئ مصطلح (الحفظ) في اللّغة العربيّة، كما ويُصطلح عليه أيضًا بمصطلح ثان وهو (التّخزين بالذّاكرة)[17] ويُحيل إلى أحد العوامل الّذي ترتكز عليها عمليّة التّذكّر وإلى كلّ أثر باق يُمكن الاستعانة به في التّجارب المستقبليّة[18].

كما يرى "ابن خلدون" بأنّ كثرة (الحفظ) أساس تعلّم اللّسان العربيّ، ويجعله مقترنًا بالجودة؛ إذ إنّ جودة المحفوظ هي الّتي تُحدّد جودة الملكة لدى الحافظ[19]. فالملكة في أيّ علم من العلوم تُكتسب عن طريق الحفظ، فمثلا: تُكتسب الملكة الشّعريّة بحفظ الشّعر، وملكة الكتابة تكتسب بحفظ الأسجاع، والملكة العلميّة تكتسب بمخالطة العلوم والأبحاث العلميّة، والملكة الفقهيّة تكتسب عن طريق مخالطة الفقه والمسائل الفقهيّة...إلخ[20].

ويضع "ابن خلدون" شروطًا للحفظ فهو يُسقط (الحفظ) الذي لا فائدة من ورائه، في مقابل (الحفظ) الّذي يكون مقترنًا بالفهم والمناقشة؛ فلا يجب على المتعلّم أن يحفظ فقط وإنّما يجب عليه أن يفهم ما يحفظ[21]. وهذه الأفكار الّتي قال بها "ابن خلدون" قبل قرون مضت؛ حيث دعا إلى الابتعاد عن الطّرائق التّلقينيّة في التّعليم والّتي تعتمد على الحفظ والاستظهار دون فهم ووعي، هي ما تُنادي به اليوم الطّرائق التّعليميّة الحديثة.

3-2 المحاورة:

يُقصد بمصطلح (المحاورة) في المقدّمة تلك القدرة على الجدال في العلم والمناظرة؛ حيث يرى "ابن خلدون" أنّ الملكة العلميّة لا تتمّ عن طريق حفظ مباحث العلم وفهمها والوعي بها، وإنّما تحصّل هذه

الملكةُ عن طريق المحاورة والمناظرة والمفاوضة في مواضيع العلم، وينتج عن المحاورة والمناظرة ملكة التّصرّف وملكة استنباط الفروع من الأصول[22]، وفي هذا يقول "ابن خلدون": «وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها، فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة، فلا يحصلون على طائل من التصرف في العلم والتعليم، ثم بعد تحصيل من يرى أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علَّم»[23]. ولهذا السبب ينتقد "ابن خلدون" كثرة الحفظ ويؤكّد على ضرورة اتّباع طريقة المحاورة والمناظرة في العلم والتّعليم. إذ يجب على الطالب أن يحذق في العلم، ويتفنن فيه ويستولي عليه، حتّى يُصبح قادرًا على المحاورة والمفاوضة فيه[24]. ويتّفق "ابن خلدون" في هذه الآراء مع الفكر التّربويّ الحديث الذي يدعو إلى تعلّم اللّغة عن طريق معرفة وظائفها التّواصليّة، وذلك لأنّ حفظ القواعد اللّغويّة لا يُجد نفعاً ما لم يتمكّن المتعلّم من استخدامها في المحاورة مع الآخرين[25]. كما أشارت الدّراسات التّربويّة الحديثة إلى هذا المصطلح تسميةً ومفهومًا، مع اختلاف بسيط في التّسمية؛ حيث تَصطلحُ عليه بمصطلح (الحوار) وهو ما يُكافئ مصطلح (Dialogue)[26] في اللّغة الأجنبيّة، وتَعدُّه طريقةً من طرائق التّعليم الّتي تعتمد أساسًا على التّواصل المتبادل بين المعلّم والمتعلّم أو بين المتعلّمين فيما بينهم[27]. ومنه فإنّ مصطلح (المحاورة) من المصطلحات المستقرّة الشّائعة الاستخدام قديمًا وحديثًا.

4-2 التّدريج:

يُشير مصطلح (التّدريج) في مقدّمة "ابن خلدون" إلى تعليم العلوم عبر مراحلَ وليس دفعةً واحدةً؛ إذ يذهب إلى أنّ الفائدة من وراء تلقين العلوم للمتعلّم لا تحصل إلّا إذا كان ذلك شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلا[28]، وأنّ «قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجًا[29]» ، وعليه يكون (التّدريج) هو تقديم المادة العلميّة من السّهل إلى الصّعب، ومن البسيط إلى المعقّد، ومن العامّ إلى الخاصّ لاستدراج المتعلّم شيئاً فشيئًا وجعله يُقبل على التّعلّم من غير نفور أو عزوف[30].

ويتمّ (التّدريج) في التّعليم حسب "ابن خلدون" عبر ثلاث مراحلَ أساسيّة يلخّصها بقوله: «يلقي عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب. ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم؛ إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع به ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه إلى أن ينتهى إلى آخر الفن فتجود ملكته؛ ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضحه وفتح له مقفله؛ فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته»[31]، فهذا القول يُشير إلى مراحلَ ثلاث على المعلّم أن يتّبعها في التّعليم؛ حيث تتمثّل المرحلة الأولى في إعطاء المتعلّم الأصول والمسائل العامّة للعلم، أمّا المرحلة الثّانية فيستوفي فيها الشّرح والتّفصيل في تلك الأصول والمسائل، ثمّ يزيد في المرحلة الثّالثة من الشّرح والتّفصيل حتّى تحدث للمتعلّم ملكةٌ في ذلك العلم.

ويرى "ابن خلدون" أنّ (التّدريج) مفيدٌ؛ إذ يَنجَرّ عن الخلط في التّعليم تَعذُّر الفهم، ذلك أنّ المتعلّم الّذي يُحصّل ملكةً في علم ما قد استعدّ بالضّرورة لقبول ما تبقّى، ونشط في طلب المزيد منه والتّقدّم فيه حتّى يتمكّن من ذلك العلم، وخلافًا لذلك؛ يعجز عن الفهم إذا ما التبس عليه الأمر، فييأس من التّحصيل، ومنه عزوفه عن العلم والتّعلّم[32]. والمتعلّم عاجزٌ عن الفهم بعيدٌ عن الاستعداد في بداية أمره، فلا تُلقَ عليه الغايات حتّى لا يَعُدّ ذلك من صعوبة العلم فيتكاسل عنه[33]. و في هذا تأكيدٌ على أهميّة مراعاة (التّدريج) أثناء عمليّة التّدريس؛ لأنّ إهمال (التّدريج) يؤدّي إلى خلط العلم في ذهن المتعلّم و تعذّر فهمه، فينفر من التّعلّم ويهجره.

كما ويدعو "ابن خلدون" كذلك من خلال مفهوم (التّدريج) إلى مراعاة استعداد قدرات التّلميذ العقليّة والنّفسيّة، وهو ما يُؤكّد عليه علم النّفس التّربويّ[34]؛ حيث إنّ (التّدريج) بهذا المفهوم حاضرٌ في الدّرس التّعليميّ الحديث مع اختلاف بسيط في التّسمية، فقد أصبح يُصطلح عليه، اليوم، بمصطلح (التّدرّج) في اللّغة العربيّة وهو ما يكافئ المصطلح الأجنبيّ (Gradation)[35]؛ حيث تؤكّد الدّراسات التّربويّة الحديثة على وجوب (التّدرّج) في الاختبار من الأسهل إلى الأصعب[36]. ومنه فإنّ مصطلح (التّدريج) مصطلحٌ شائعٌ ومستقرٌّ امتدّ استخدامه إلى الدّرس التّعليميّ التّربويّ الحديث.

2-5 الشّدّة:

يعني مصطلح (الشّدّة) حسب "ابن خلدون" العنف والعسف الذي يمارسه المعلّم على المتعلّم، وقد رفض (الشّدّة) وحذّر منها؛ إذ يجب على الوالد أن لا يستبدّ في تأديب ولده وكذا المعلّم مع متعلّمه[37]، لأنّ الشدّة تُكسب المتعلّم صفاتً سيّئةً كالخبث والكذب والتظاهر بغير ما في النّفس، وتؤدّي إلى فساد الأخلاق وانحلالها.

وعليه فقد حذّر "ابن خلدون" من الشدّة بالمتعلّمين واستعمال العنف معهم وأقرّ بأنّها تؤدّي إلى ثلاث نتائجَ سيّئة حيث إنّها:

- تذهب بالنّشاط وتدعو إلى الكسل.
- تحمل على الكذب والخبث.
- تعلّم المكر والخديعة.

وفي دعوته إلى مثل هذا؛ سبق "ابن خلدون" عصره في تناوله لمبادئ تربويّة تستهدف تربية عقل الإنسان بالإضافة إلى أخلاقه أيضا، واتّفق مع الدّراسات التّربويّة والنّفسيّة الحديثة الّتي تدعو إلى الرّفق بالمتعلّم وتجنّب الشّدّة عليه.

2-6 الاستعمال:

يُحيل مصطلح (الاستعمال) في المقدّمة إلى توظيف كلام العرب الّذي تمّ حفظه في التّواصل مع الآخرين والتّدرّب عليه والتّصرّف في التّعبير به؛ حيث أكّد "ابن خلدون"، في سياق حديثه عن تحصيل ملكة (اللّغة) الّتي لا تُكتسب إلّا عن طريق حفظ كلام العرب المستمدّ من الأساليب القرآنيّة والأحاديث النّبويّة الشّريفة ومآثر الخطب والأشعار...، على ضرورة تنزّل المتعلّم منزلة من نشأ بينهم

ولُقّن عباراتهم، فيتصرّف على منوالهم في التّعبير عن أفكاره، ويُحاكي أساليبهم واتّساق ألفاظهم، فيُحصّل بعد ذلك ملكة (اللّغة) من خلال هذا الحفظ والاستعمال[38]. ومنه فإنّ مصطلح (الاستعمال) يعني توظيف المتعلّم لما حفظه من مآثر الكلّم في كلامه والتدرّب عليه، حتى تحصل له ملكة في اللّغة.

هذا المفهوم ذاته الّذي نجد له اليوم كبيرَ صدى في مجال تعليميّة اللّغة، ويُعبَّر عنه أيضًا بالتّسمية ذاتها في اللّغة العربيّة؛ أي (الاستعمال)[39] كما ويُعبّر عنه أيضًا بتسمية أخرى وهي (التّداول)[40] وهما مكافئتان للمصطلح الأجنبيّ (Usage)[41]؛ ويُقصد به تلك اللّغة المستعملة لدى جماعة لغويّة بعينها بُغية تحصيل كفاءة التّواصل بها[42]؛ إذ يجب أن تُبنى الدّروس على الاستعمال التّلقائيّ للّغة وكذا تحفيز المتعلّمين من أجل التّعامل مع مواقفَ لم يسبق لهم التّدرّب عليها[43]، ومنه فإنّ "ابن خلدون" كان سبّاقا إلى الحديث عن مصطلح (الاستعمال) الّذي غدا اليوم مصطلحًا مهمًّا في الفكر التّربويّ الحديث.

7-2 التّكرار:

يتمّ (التَّكرار) حسب "ابن خلدون" عن طريق المخالطة وكثرة الاستعمال والمخاطبة[44]؛ حيث يذهب إلى أنّ حصول الملكات لا يتمّ إلّا بواسطة تكرار الأفعال، فيكون الفعل في بداية الأمر صفةً ثمّ تُكرّرُ فتغدو حالًا ومع زيادة (التّكرار) تُصبح ملكةً راسخةً[45].

و(التّكرار) عند "ابن خلدون" ليس محضَ ترديد ببّغائيّ للمادّة التّعليميّة، وإنّما هو تدرّج في التّعليم إلى أن تصل الملكة إلى الرّسوخ وهو ضروريّ جدًّا للمبتدئين[46]؛ أي إنّه ضروريّ لحديثي التّعلّم خاصّةً. وهي التّسمية ذاتها اللّتي تُقابل المصطلح الأجنبيّ (Repetition)[47] وكذا المفهوم عينه اللّذان أشارت إليهما الدّراسات التّربويّة الحديثة الّتي تعدّ (التّكرار) عمليّة تثبيت للمعلومات[48].

كما عدّت الدّراسات اللّسانية الحديثة، كذلك، (التكرار) مبدأً مهمًّا في تكوين المعارف الإنسانيّة؛ فهو عنصرٌ أساسيٌّ في عمليّات الإنتاج والفهم والتّأويل الّتي تكوّن عمليّة التّواصل الإنسانيّ[49]. ومنه فإنّ مصطلح (التّكرار) قد استقرّ في ذهن "ابن خلدون" واشتهر منذ زمن مبكّر ليُستخدم بعد ذلك في الدّراسات التّربويّة الحديثة.

8-2 التّلقين:

يُقصد بمصطلح (التّلقين) في "المقدّمة" إلقاء العلوم على المتعلّم وتفهيمه إيّاها؛ لذلك يذهب "ابن خلدون" إلى أنّ عمليّة تلقين العلوم للمتعلمين لا تكون مفيدةً إلّا إذا تمّت عن طريق التّدريج[50]. وقد رفض "ابن خلدون" التّلقين المحض الّذي لا يعتمد على المناقشة والمحاورة، وخاصّةً في تعليم القرآن الكريم؛ حيث يُلقّن الصّغار آيات من القرآن ويُكلّفون بحفظها بطريقة عفوية آليّة دون مناقشة[51]. وهو في هذا يتّفق مع الفكر التّربويّ الحديث الّذي يدعو إلى ربط العملية التّعليميّة بالممارسة والاستعمال.

9-2 الممارسة:

أمّا مصطلح (الممارسة) عند "ابن خلدون" فيعني استعمال اللّغة وتوظيفها في التّواصل؛ إذ يرى أنّ تعلّم اللّغة لا يتمّ من خلال حفظ القواعد اللّغويّة نظريًّا فقط، وإنّما يجب أن تُمارس وتُستعمل من أجل أن يَكتسب المتعلّم ملكةً في اللّغة الّتي يتعلّمها. فملكة اللّغة لا تحصل بمجرّد معرفة القوانين

العلميّة فيها وإنّما تحصل بممارسة كلام العرب والاستماع المتكرّر إليه ومعرفة تراكيبه[52]. ولذلك يرى أنّ ملكة اللّسان غير صناعة العربيّة ومستغنيةٌ عنها، فملكة اللّسان هي التّمكّن من ممارسة اللّغة العربيّة واستعمالها استعمالًا صحيحاً. أمّا صناعة العربيّة فهي النّحو العربيّ كما يصرّح بذلك في عدّة مواضع[53]. وهو المفهوم ذاته الّذي يذهب إليه الدّرس التّعليميّ الحديث؛ إذ يَردُ كمقابل للمصطلح الأجنبيّ (Apprentissage par la pratique)[54] .

كما يؤكّد "ابن خلدون" على أنّ تعلّم القواعد اللّغويّة دون ممارسة هو «بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً، و لا يحكمها عملا»[55]، ويضرب مثالاً في ذلك عن عالم النّجارة الّذي يحيط بقوانينها النظريّة فإذا سألته عن تفصيل الخشب حدّد لك كيفيّته وخطواته بدقّة متناهية، و لكنّك إذا طلبت منه القيام بهذا العمل فإنّه لا يستطيع إنجازه، وكذلك بالنّسبة للعالم بقوانين الإعراب وقواعد النّحو إذا سألته أن يكتب رسالة مودّة إلى أخيه أو كتابة شكوى أخطأ في الكتابة ولحن ولم يحسن اختيار التّعابير المناسبة[56]، ومنه فإنّ "ابن خلدون" يذهب إلى أنّ امتلاك الملكة اللّغويّة لا يتمّ عن طريق حفظ القواعد اللّغويّة، بل عن طريق الممارسة باستعمال هذه القواعد في التّواصل مع الآخرين.

وهذا ما يؤكّده الفكر التّربويّ الحديث؛ إذ لم يعد تعلّم اللّغة مقتصرًا على اكتساب القواعد والتّراكيب اللّغويّة فحسب وإنّما اكتساب المهارات التّواصليّة إلى جانب ذلك[57]. وعليه يُمكننا القول بأنّ مصطلح (الممارسة) في مقدّمة "ابن خلدون" يقترب كثيرًا من المفاهيم التربويّة الحديثة المتعلّقة بالتعلّم التّواصليّ للّغة؛ فقد كان سبّاقًا للدّعوة إلى اتّباع هذا النّوع من التّعليم.

خاتمة:

بناءً على ما سبق ومن خلال دراستنا لنماذج من مصطلحات الطّرائق التّعليميّة الواردة في مقدّمة "ابن خلدون" توصّلنا إلى جملة من النّتائج نوجزها فيما يأتي:

- تضمّنت مصطلحات الطّرائق التّعليميّة في مقدّمة "ابن خلدون" آراءً مهمّة تتفق مع الطّرائق التّعليميّة الحديثة.

- دعا "ابن خلدون" من خلال مصطلحات الطّرائق التّعليميّة إلى ربط اللّغة باستعمالها وعدم الاعتماد على (الحفظ) و(التّلقين) دون الفهم و(الممارسة) و(الاستعمال) الحقيقيّ للّغة و(التّجربة) الحسيّة، كما دعا إلى (المحاورة) في العلم وعدم (الشّدّة) على المتعلّمين، من أجل تمكين المتعلّم من ملكة اللّغة، وهذه الأفكار هي ما توصّلت إليه حديثًا الطّرائق التّعليميّة انطلاقًا من مصطلح (القدرة التّواصليّة).

- تدلّ مصطلحات الطّرائق التّعليميّة الواردة في مقدّمة "ابن خلدون" على وعيه الكبير وتمكّنه في المجال التّربويّ، كما تدلّ على مفاهيم تعليميّة سابقة لعصره تتوافق مع الفكر التّربويّ الحديث، ويمكن أن يُفيد منها مجتمعنا العربيّ اليوم في حل بعض المشكلات التي يعاني منها قطاع التّربية والتّعليم[58].

الإحالات:

[1]- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت- لبنان، مادّة (ص ل ح).

[2]- الشّهابي، مصطفى ، 1995م، المصطلحات العلميّة في اللغَة العربيَّة في القديم والحديث، دار صادر، لبنان، ص6.

- حمدان، محمد، 2007، معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار كنوز المعرفة، الأردن، ص67.[3]

[4]- ينظر: عبد الواحد وافي، علي، 1984م، عبقريات ابن خلدون، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربيّة السعودية، ص192.

- يُنظر: المرجع نفسه، ص19[5]

[6]- ينظر: بدوي، عبد الرحمن، 2006م، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ص 37.

[7]- ينظر: سراج الدين، إسماعيل، 2008م، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، مصر، ص 161.

[8]- يُنظر: المرجع نفسه، ص161.

[9]- يُنظر: المرجع نفسه، ص161.

[10]- ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 2014م، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، مصر، ج3، ص919.

[11]- ينظر: حداد، فتيحة، 2011م، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر، ص194.

[12]- ينظر: شمس الدين، عبد الأمير، 1984م، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، دار اقرأ، لبنان، ص69.

[13]- يُنظر: غريب، عبد الكريم، 2006م، المنهل التربوي معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التّربية، المغرب، مادّة (ج ر ب).

[14]- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ج ر ب).

[15]- ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص 1148-1149.

- ينظر: غريب، عبد الكريم، المنهل التربوي، مادّة (ذ ك ر).[16]

- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ذ ك ر).[17]

- يُنظر: علي، محمد السعيد، 2011م، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة، الأردن ، ص89.[18]

[19]- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1169.

[20]- ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص1169.

[21]- ينظر: حداد، فتيحة، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، ص205.

[22]- يُنظر: الحصري، ساطع،1967م، دراسات عن مقدّمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي، مصر، ص455.

[23]- ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص927.

[24]- ينظر: الحصري، ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص454-455.

[25]- ينظر: دوجلاس براون، ه، 1994م، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر: عبده الراجحي وعلي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، لبنان، ص248.

[26]- ينظر: غريب، عبد الكريم، المنهل التّربوي، مادة (ح ور)

[27]- ينظر: المرجع نفسه، مادة (ح ور).

[28]- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1110.

[29]- المصدر نفسه، ج3، ص1110.

[30]- ينظر: بوفتاح، عبد العليم،2017م، أهمية الملكة في تعليم اللغة عند ابن خلدون على ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، العدد10، ص129.

[31]- ابن خلدون، المقدّمة، ج3 ص1110.

[32]- ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص1111.

[33]- ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص1110-1111.

[34]- ينظر: حداد، فتيحة، نقائص التعليم حسب ابن خلدون والحلول المقترحة من قبله، مجلة Revue Campus، جامعة مولود معمري- تيزي وزو، العدد04، ص68.

[35]-ينظر: غريب، عبد الكريم ، المنهل التربوي، مادّة (د ر ج).

[36]- ينظر: علي، محمد السعيد، موسوعة المصطلحات التربوية، ص298.

[37]- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1119.

[38]- يُنظر: المصدر نفسه، ج3، ص1146

- يُنظر: غريب، عبد الكريم ، المنهل التربوي، مادّة (ع م ل).[39]

- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ع م ل).[40]

- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ع م ل).[41]

[42]- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ع م ل).

[43]- يُنظر: دوجلاس براون، هـ، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص261.

[44]– ينظر: الميساوي، خليفة، 2013م، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، المغرب، ص161.

[45]- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1140.

[46]- ينظر: خلاف شكور، مسعودة، 2013م، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة- جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، العدد10، ص21.

يُنظر: غريب، عبد الكريم، المنهل التربوي، مادّة (ك ر ر). [47]-

[48]- يُنظر: المرجع نفسه، مادّة (ك ر ر).

[49]- ينظر: الميساوي، خليفة، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، ص158-159.

- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1110.[50]

- ينظر: حداد، فتيحة، نقائص التعليم حسب ابن خلدون والحلول المقترحة من قبله، ص204. [51]

- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1149.[52]

- ينظر: الحصري، ساطع، دراسات عن مقدمة ابن خلدون،[53]

- يُنظر: غريب، عبد الكريم ، المنهل التربوي، مادّة (م ر س).[54]

- ينظر: ابن خلدون، المقدّمة، ج3، ص1147.[55]

[56]- ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص1147.

[57]- ينظر: خلاف شكور، مسعودة، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، ص25.

المراجع:

- بدوي، عبد الرحمن، 2006م، مؤلفات ابن خلدون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

- بوفتاح، عبد العليم،2017م، أهمية الملكة في تعليم اللغة عند ابن خلدون على ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة جسور المعرفة، جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف، العدد10

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت- لبنان.

- حداد، فتيحة، 2011م، ابن خلدون وآراؤه اللغوية والتعليمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر.

- الحصري، ساطع،1967م، دراسات عن مقدّمة ابن خلدون، مكتبة الخانجي، مصر.

- حمدان محمد، 2007، معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار كنوز المعرفة، الأردن.

- خلاف شكور، مسعودة، 2013م، إسهامات ابن خلدون وآراؤه النظرية في تعليمية اللغة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة- جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، العدد10.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، 2014م، مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، مصر.

- دوجلاس براون، هـ، 1994م، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر: عبده الراجحي وعلي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، لبنان.

- سراج الدين، إسماعيل، 2008م، ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، مكتبة الإسكندرية، مصر.

- شمس الدين، عبد الأمير، 1984م، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، دار اقرأ، لبنان.

- الشّهابي، مصطفى، 1995م، المصطلحات العلميّة في اللغَة العربيَّة في القديم والحديث، دار صادر، لبنان.

- عبد الواحد وافي، علي، 1984م، عبقريات ابن خلدون، شركة مكتبات عكاظ، المملكة العربيّة السعودية.

- علي، محمد السعيد، 2011م، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة، الأردن.

- غريب، عبد الكريم، 2006م، المنهل التربوي معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التّربية، المغرب.
- الميساوي، خليفة، 2013م، المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، المغرب.